تاريخ الدرس الصوتي

إقبال عبد العزيز منوفلي حمد

أستاذ علم اللُّغة المشارك– كلية الآداب ـ جامعة بيشة ـ المملكة العربية السعودية.

تاريخ التسليم: ٢١ مارس ٢٠١٩ م تاريخ القبول: ٢ أبريل ٢٠١٩م

الملخص :

الصوت ظاهرة مهمة وعنصر فعّال من عناصر اللُّغة، فاللُّغة من غيره جثة بلا حراك ؛لأنّ اللغة المكتوبة لا قيمة لها إذا لم تكن منطوقة معروفة الأصوات، والوجود المادي للُّغة يتحقق بنطقها. دراسة اللُّغة من هذه الوجهة يختص بها أحد فروع علم اللُّغة المهمة ألا وهو "علم الأصوات"، ذلك العلم الذي يتخذ موضوعه أصوات اللُّغة المنطوقة، خصائصها، ووظائفها، وصورها الأدائية. لقد فطن العلماء لأهمية هذا النوع من الدراسة منذ زمن بعيد، فبدأ الاهتمام بدراسة أصوات اللُّغات وما يتعلق بها لدى أمم وشعوب مختلفة على مر العصور، بدأت الدراسة الصوتية في أول أمرها نظرية تعتمد على الملاحظة البحتة، ولا تمتلك من الأجهزة والأدوات ما يجعلها عملية تجريبية؛ لكنّها بالرغم من ذلك قدمت خدمات جليلة من أجل إرساء دعائم هذا العلم، وتحديد العديد من مسائله وقضاياه، ولفْت الأنظار إلى مدى أهميته وحاجة جميع اللُّغات إليه. وقد حظي الدرس الصوتي بعناية العلماء القدامى من العرب والهنود والإغريق، وأصبحت دراساتهم لبنات استفاد منها الدرس الصوتي الحديث في العديد من جوانبه. أما في العصر الحديث ومنذ أواخر القرن الثامن عشر فقد بدأت جهود العلماء تظهر وتثمر في هذا المجال، فظهرت في هذا المجال دراسات أكثر تفصيلًا و دقةً ؛ خاصة بعد ظهور المعامل الصوتية ووسائل التجريب المختلفة، ونتيجة لذلك شهد هذا العلم تطورًا ملحوظًا في شتى جوانبه فتعددت فروعه، ووضحت معالمه. تجدر الإشارة إلى أنّ الدراسة الصوتية في هذا العصر قد وجدت تقديرًا واهتمامًا كبيرًا لدى الغرب، بينما نجد الأمر غير ذلك في عالمنا العربي؛ بالرغم من أن لسلفنا من علماء هذه الأمة دراسات صوتية جليلة القدر شهد لها بذلك علماء الغرب . لقد فصلّت محاور هذه الدراسة في هذه المعطيات ووصلت للعديد من النتائج .

Abstract :-

Sound is an important phenomenon and one of the effective component of language, so language without sound like the dead corpus, because the written language is worthless without sounds. The study of language from this destination belongs to the one of the branches of linguistics called "phonology", which concerned the study of speech sounds and its characteristics and functions. Scientists have learned the importance of this type of the study a long time ago and began to pay attention to the study of the sounds of language. The study of the sounds began in its first time theoretically based on observation no longer use experimental and application tools. The sound lesson was carefully studied by ancient Arab, Indian and Greek scholars, their studies became the basis of modern studies of the sounds in different sides. In the modern area, since the late eighteenth century the efforts of scholars began to appear in this field and appeared more detailed and accurate studies as the result of emergence of sounds Lab and variant experimental tools. As the result of this, the phonology witnessed remarkable development in its different branches. The study of sounds in this age has found a great appreciation and interest in the West, while in our Arab world the matter is different, although our ancestors are scientists in this field. The study found out several results."

المقدمـــــــة:

اللُّغة في شكلها العام مجموع كلي لكلمات رُكبت بصورة خاصة واقترن بعضها ببعض بشكلٍ معين، لتؤدي وظيفتها في حياة البشر، فلكل شعبٍ أو جماعة بشرية لغة خاصة تختلف عن غيرها في خصائصها، فلكل لغة مظهر ذهني يربط بين اللفظ ومعناه، ومظهر مادي يتمثل في تلك الصورة النطقية التي تصدر عن جهاز النطق عند الإنسان، وتنتقل عبر الهواء على شكل ذبذبات صوتية إلى أذن السامع، فيدركها ويفهم مدلولها. ودراسة الأصوات وطريقة نطقها تُعد أول خطوة في أي دراسة لغوية عند علماء اللُّغة

المحدثين؛ لأنّها تدرس أصغر وحدة من وحدات اللُّغة، وهي الصوت الذي يمثل مادة الكلام الإنساني. ودراسة الصوت وكل ما يتعلق به يقع في دائرة اختصاص ما يُعرف بعلم الأصوات؛ فدراسة الجانب الصوتي للُّغة جعل لهذا العلم الأثر الكبير في جميع الدراسات اللُّغوية؛ إذ لا تقوم أي دراسة في أي جانب من جوانب اللُّغة دون الإلمام بالمبادئ والمفاهيم الصوتية. ومن هذا المنطلق تحفزتُ لتتبع مسيرة هذا العلم وتطوره منذ نشأته وصولًا إلى العصر الحديث ، تحت عنوان: " **تاريخ الدرس الصوتي** "

أسباب اختيار الموضوع :

١ـ الأهمية الكبيرة لعلم الأصوات، الذي يدرس الصوت الإنساني الذي يقع في دائرة النظام اللُّغوي، والذي هو أساس التفاهم بين البشر.

٢ـ ارتباط علم الأصوات بجميع فروع اللُّغة والعديد من العلوم الإنسانية الأخرى .

٣ـ الدراسات الصوتية لم تجد لدى الباحثين المعاصرين في عالمنا العربي من العناية والاهتمام، ما يكافئ أهميتها وقيمتها.

أهداف الدراسة :

١ـ الوقوف من خلال هذه الدراسة على نشأة هذا العلم وتطوره عبر العصور.

٢ـ الاطلاع على الجهود العظيمة التي بذلها العلماء قديمًا وحديثًا في هذا المجال، لشحذ الهمم لتكملة المشوار.

٣ـ لفت النظر للجهود المتواضعة التي قام بها الباحثون العرب المعاصرون، مقارنة بالجهود الجبّارة التي بذلها سلفهم من القدامى، رغم قلة الامكانات وصعوبة ظروف عصورهم.

أهمية الدراسة :

تنبع من دور الدراسة الصوتية في المحافظة على اللُّغة وضمان سلامة نطقها، في عالمٍ أصبح كقرية صغيرة، يزداد فيه التفاعل بين لغات الشعوب المختلفة .

حدود الدراسة :

تتبع مسيرة الدراسة الصوتية وتطورها على يد القدامى والمحدثين من العلماء المشارقة والغربيين.

منهج الدراسة : اتبعت الدراسة المنهج التاريخي.

محاور الدراسة:

المحور الأول : أهمية علم الأصوات ومدى الحاجة إليه .

المحور الثاني : جُهود القدامى في مجال الدراسات الصوتية.

المحور الثالث : جُهود المحدثين في مجال الدراسات الصوتية.

المحور الأول : أهمية علم الأصوات ومدى الحاجة إليه :

الأصوات اللُّغوية ظاهرة فيزيائية تختلف عن غيرها من الأصوات في وظيفتها، ومصدرها ومستقبِلها؛ حيث يتدخل العقل البشري في تنظيمها وتوظيفها لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع الإنساني، عبر عملية الكلام التي تحتاج إلى طرفين متكلم وسامع .[١] ودراسة اللُّغة بوصفها ظاهرة عامة، تتحقق في دراسة كلام الجماعة اللُّغوية؛ من أجل التعرف على نظام الإشارات الصوتية أو الأصوات المكوّنة للكلام، وكذلك التعرف على القوانين التي تتحكم في تلك الأصوات في جميع مراحلها. ودراسة اللُّغة من هذا المنظور يُطلق عليها علم الأصوات " Phonetics " والذي هو فرع من فروع علم اللُّغة "Linguistics" .[٢]

علم الأصوات هو العلم الذي يدرس الصوت الإنساني من وجهة النظر اللُّغوية، أي أنّه يُعنى بدراسة الصوت الإنساني الذي يدخل في دائرة النظام اللُّغوي، دون الالتفات إلى الأصوات غير اللُّغوية التي يصدرها الإنسان، ولا تدخل في دائرة النظام اللُّغوي. من هذا يتضح أنّ علم الأصوات يتخذ من الكلام واللُّغة المنطوقة موضوعاً لدراسته، من أجل الكشف عن نظام أصوات اللُّغة إنتاجها، وانتقالها، وإدراكها، وصفاتها، وخصائصها، ووظائفها، وصورها الأدائية، مستخدماً في ذلك المناهج العلمية المختلفة .[٣] وبالنظر إلى الأصوات من حيث كونها مادة منطوقة، مرسلة من متكلم إلى سامع يتم تفريع علم الأصوات إلى أربعة فروع هي :علم الأصوات النطقي الذي ينظر في إصدار الأصوات بالإشارة إلى مخارجها وسماتها النطقية، وعلم الأصوات الفيزيائي "الأكوستيكي" الذي يهتم بالنظر في الذبذبات التي تحدثها الأصوات بعد إطلاقها في الهواء، وعلم الأصوات السمعي الذي يدرس وقع آثار الأصوات في أذن السامع من الناحية العضوية والنفسية، هذا بالإضافة إلي فرعٍ آخر هو علم الأصوات المعملي أو التجريبي. ويطلق على العلم الذي يدرس الصوت المنطوق باعتبار خصائصه المادية اسم "الفوناتيك" وهو علم يدرس الأصوات من حيث أنّها أصوات منطوقة بالفعل لها تأثير سمعي معيّن، دون النظر في قيم هذه الأصوات أو معانيها في اللُّغة المعيّنة، أي أنّه يُعني بالأحداث الصوتية لا بالقوانين الصوتية . ويطلق على العلم

الذي يدرس الصوت باعتبار وظيفته اسم " الفونولوجي"، ويُسمى علم الأصوات التنظيمي، وعلم وظائف الأصوات؛ لأنّه يُعنى بتنظيم المادة الصوتية وإخضاعها للتقعيد والتقنين، فهو يبحث في الأصوات من حيث وظائفها في اللُّغة.[٤] علم الأصوات بهذا المفهوم وبفروعه المتعددة يُعد من العلوم الحيوية، التي لا تستغنى عنها أي لغة لها كيان ووجود بين لغات البشر.

تُعد دراسة الأصوات أول خطوة في أي دراسة لغوية عند علماء اللُّغة المحدثين ؛لأنّها تتناول أصغر وحدة من وحدات اللُّغة وهي الصوت الذي يمثل المادة الخام للكلام الإنساني . [٥] وتكمن أهمية علم الأصوات في كونه يدرس الجانب الصوتي للُّغة ؛ ولا تقوم أي دراسة في أي جانب من جوانب اللُّغة دون الإلمام بالمبادئ والمفاهيم الصوتية، ولا يمكن دراسة لغة أو لهجة ما دراسة علمية، ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية، لأنّ الكلام عبارة عن سلسلة من الأصوات، فلابد من الوصف الصوتي لأصغر وحدات الكلمة التي تتألف منها مقاطع الكلام ؛ لأنّه من المحال دراسة بنية الكلمة دون التحقيق الصوتي للعناصر المكونة لها، كما أنّ دراسة نظم الكلام تكون قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية. كذلك الدراسة الدلالية " دراسة المعاني " لا يمكن أن تثمر ما لم ترتكز على دراسة الصور الصوتية التنغيمية ، فقد تكون الفونيمات المكونة للكلمة مطابقة لفونيمات كلمة أخرى؛ ولكننا نجد أنّ موضع الارتكاز في هذه الكلمة،غير موضع الارتكاز في تلك، ومعنى هذه غير معنى تلك، ومثل ذلك أيضاً الاختلاف في التنغيم أو التغيير في طول الأصوات الصائتة ، فنجد مثلاً الكلمة الواحدة تدل على التقرير، وباختلاف نغماتها تدل على الاستفهام ، وبنطقها بنغمة أخرى تدل على التعجب وهكذا. ومن الأمور التي تعكس أهمية علم الأصوات أنّه لا يقتصر على خدمة الدراسة اللُّغوية الوصفية؛ بل أنّه يخدم الدراسة اللُّغوية التاريخية، والدراسة اللُّغوية التي تقارن بين أصوات لغة معيّنة في فترة أخرى من فترات تطورها، أو بينها وبين أصوات لغة أخرى في عصر خاص من عصور تطورها. علم الأصوات أيضاً يساعد بصورة كبيرة في إجادة نطق اللُّغة الأصلية، وفي تعلم نطق اللُّغات الأجنبية؛ لأنّ الإنسان يميل من غير ما يشعر إلى نطق أصوات اللُّغة الأجنبية من خلال أصوات لغته هو، فعلم الأصوات يُمكِّننا وبطول المران من التحلل من عاداتنا الصوتية في نطق الصوت الأجنبي .[٦]وأنّه يعالج كذلك أبجديات اللّغات وما فيها من نقص في تصوير المنطوق، من خلال ما يُعرف بالكتابة الصوتية . كذلك النظام النحوي للغة ودراسته لا يمكن أن يتم دون معرفة نظامها الصوتي والأدائي، ومدى ما يسهم به هذا النظام في بناء الجملة وتركيب الكلام. دراسة الدلالة المعجمية للكلمة كذلك تحتاج حاجة ماسة إلى علم الأصوات؛ لأنّ المنهج الحديث في المعاجم اللُّغوية يهتم بتدوين صورة أداء الكلمة، فيحدد مكان نبر الكلمة ونوعه، والتنغيم وطول الصوت وغير ذلك مما يتصل بالأداء . وفي مجال اللهجات لم يعد العلم الحديث يقتنع بالدراسة النظرية للهجات، فالدرس اللهجي الحديث يقتضي دراسة اللهجات وفق مناهج الصوتيات، ليتم الكشف عن عدد أصوات اللهجة وأنواعها وخصائصها، ونظامها المقطعي، والنبر والتنغيم، حتى يتم التوصل إلى النظام الصوتي العام للهجة.[٧] وفي مقام ذكر فوائد علم الأصوات وأهميته لا يمكن تجاهل القواسم المشتركة بين علم الأصوات وعلم التجويد؛ إذ إنّنا نجد كتب التجويد من أكثر المؤلفات اهتماماً بالدرس الصوتي ، فقد نشأت الدراسات الصوتية عند العرب القدماء على يد قُرّاء القرآن الكريم ، تنفيذاً للأمر الرباني" وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا"[٨]، فعلم التجويد يستفيد من الحقائق العلمية في مجال علم الأصوات، والتي تعين في فهم طبيعة الصوت اللُّغوي وتفسير الظواهر في التلاوة، تفسيراً علمياً يسهّل فهمها وتعلمها، تجدر الإشارة إلى أنّ علم الأصوات الفيزيائي له أهمية خاصة في هذا المجال ؛ لأنّه يدرس التركيب الطبقي للأصوات، وأنّه يُمكّن من دراسة درجة الصوت وشدته وزمنه على نحو دقيق.[٩]

الجدير بالذكر أنّ لكل فرعٍ من فروع علم الأصوات المختلفة أهميته الخاصة ، فقد أتاح علم الأصوات الفيزيائي أيضاً فرصةً لمعالجة التلوث الضجيجي البيئي ، كما ساعد على تصميم المعدات والهواتف وغيرها من وسائل الاتصالات السمعية البالغة الدقة، والتي تفيد في معالجة بعض حالات الصمم . كما أنّ دراسة تشريح الجهاز النطقي وفسيولوجيا الكلام قد مكّن من مساعدة المصابين بعيوب النطق المختلفة. أما علم الأصوات التجريبي فقد مكّن من

تحويل الكلام المنطوق إلى كلام مكتوب آليًا، والكلام المكتوب إلى كلام منطوق، وكذلك القيام بترجمة اللُّغات آلياً. يضاف إلى هذا أهمية علم الأصوات عند الأدباء الذين يوظفون الصفات الصوتية لأداء المعنى وتحقيق الموسيقى اللُّغوية المناسبة. ومن فوائد علم الأصوات أيضاً أنّه يتيح فرصة تفسير التغيرات التي تطرأ على بنية الكلمة المنطوقة، من خلال دراسة قوانين التشكيل الصوتي للغة وهو ما يعرف باسم " المور فونولوجي " ، كما أنّ علم الأصوات " الفونولوجيا " له أهمية كبيرة لا تخفى؛ إذ أنه هو الذي يميّز كلمة عن أخرى، كما يفرّق بين معاني الكلمات ويساعد في تعليم وتعلم اللُّغات الأجنبية، بالإضافة لكونه يساعد في ابتكار أبجديات منظمة للغات .[١٠]

يمكننا القول بأنّ علم الأصوات يهدف أولًا وأخيرًا إلى غاية سامية هي : تقنين الأداء اللُّغوي ؛ حيث أنّه يرمي إلى اكتشاف القواعد والقوانين الصوتية، والنظام الذي يسير عليه أبناء اللُّغة الواحدة في أدائهم، حتى تتم المحافظة على هذا النظام والالتزام به، حتى يتم توحيد النطق وتتحقق المحافظة على سلامة اللُّغة.[١١]

هكذا يمكن أن نلمس أهمية علم الأصوات وفوائده والخدمات التي يؤديها في مختلف ميادين العلم والمعرفة، الأمر الذي يرفع من شأنه بين الدراسات والعلوم المعاصرة .

المحور الثاني: جُهود القدامى في مجال الدراسات الصوتية :

حصر الأصوات وإحصائها وتحديد خصائص كل منها يحتاج إلى منهج علمي فيه استقراء وبُعد نظر، ودقة في تتبع اللُّغة من هذا الجانب، فيا ترى هل تمكن العلماء الأوائل من الولوج إلى هذا المجال وتقديم أي منفعة من خلاله للبشرية ؟

الهنود هم أسبق الأمم في مجال الدراسات اللُّغوية، فقد أُثرت عن الهنود دراسات في فروع علم اللُّغة المختلفة ، تتناول الأصوات، والاشتقاق، والنحو، والمعاجم. ويرجع أقدم ما وصل إلينا من تلك الدراسات إلى القرن الخامس قبل الميلاد؛ في حين أنّ الدراسات اللُّغوية عند العرب لم تبدأ إلا بعد ظهور الإسلام .[١٢]

يعد الهنود من أقدم الشعوب التي عُنيت بالتفكير اللُّغوي عامةٍ والتفكير الصوتي خاصةً، وقد وصلت آثارهم إلى عصرنا هذا ، فالذي دفع الهنود إلى الاهتمام بالصوتيات حرصهم على تجويد الأداء في كتابهم المقدس " الفيدا "، فقد قدّم اللُّغويون الهنود عملاً تحليلياً وصفياً، تناول صوتيات لغة الهند القديمة بوصفٍ دقيقٍ يدل على دقة البحث وعمق الدراسة. ومن أهم الأفكار الصوتية التي تناولها الهنود، ماهية الصوت اللُّغوي والتفريق بينه وبين الصوت العام ، كذلك عرفوا تقسيم الأصوات اللُّغوية بحسب مخارجها، كما وضعوا لها تقسيمات أخرى وفقاً لملاحظات التقتوا إليها، فقسموها من ناحية الجهر والهمس، ومن ناحية اتساع المخرج ، كما أنّهم انتبهوا إلي الظواهر الأدائية كالنبر والتنغيم وطول الصوت .[١٣] ودراسات الهنود الصوتية القديمة أفادت التفكير الصوتي الحديث كثيرًا؛ لأنّ مناهجها قامت على أسس علمية سليمة. وقد بدأ النحاة الهنود يفكرون في المسائل اللُّغوية قبل نظرائهم الإغريق بزمنٍ طويل، واتسمت بعض أعمالهم بالدقة والموضوعية، وقد توصلوا فيها إلى نتائج تشبه إلى حدٍ بعيد بعض نتائج الدراسات الحديثة ؛ خاصة في مجال الصوتيات. ويخطي من يظن أنّ الدراسات اللُّغوية عند الهنود كلها كانت تقليدية كحال الدراسات الإغريقية ، فقد ذهب بعض الدارسين إلى القول بأن البحوث الهندية قد انتظمت فروعًا مستقلة ، لكلٍ منها أهداف ومناهج خاصة ، كاللسانيات العامة ، والنحو الوصفي ، والفونتيك ، والفونولوجيا ، والمورفولوجيا، والدلالة، وقد تفوق العلماء الهنود خاصة في مجال الصوتيات والصرف .[١٤] وعلم الأصوات في القرن التاسع عشر يدين بانبعاثه في المقام الأول للتكنيك الوصفي للعلماء الهنود .[١٥]

وُجدت الدراسات الصوتية عند الهنود مقترنة بعلم النحو، فقد تم علاج المشاكل الصوتية إلى جانب مشاكل النحو، وكان المؤلفون الأوائل في مجال الأصوات من النحاة ؛ لكن ما لبث أن انفصل علم الأصوات عن النحو وظهرت فيه مؤلفات كاملة مستقلة ، وأول كتاب في الأصوات نسب إلى " بانيني " النحوي ؛ ولمّا كان هدف الدراسة الصوتية في بادئ الأمر ديني ، عُدت المرحلة الأولى منها مرحلة تعليمية تهدف إلى تحصين النطق والتدريب على مواقفه المختلفة ، ثم تطورت الدراسة بعد ذلك وأصبحت تعالج موضوعات من علم الأصوات العام ، أي أنّها انتقلت من ملاحظات تعليمية إلى نظريات صوتية عامة .وقد استطاع بعض الباحثين جمع خمسين كتابًا هنديًا قديمًا في الأصوات، ما بين مطبوع

ومخطوط . وقد قسم الهنود الأصوات إلى حروف علة، وأنصاف حروف علة، وإلى أصوات ساكنة ، كما توصلوا إلى أثر قفل مجرى النفس في إنتاج الأصوات الانفجارية، وعن أثر فتحه في إنتاج أصوات العلة ، كما ذكروا أنّ السواكن لا تستغل بنفسها، في حين أن العلل تستغل بنفسها ، كما أنّهم وضعوا مقاييسًا لكمية الصوت وقسموا الأصوات إلي أصوات قصيرة، وأصوات طويلة، وأصوات طويلة جدًا "over long" ، وكذلك نجد الهنود تحدثوا بتفصيل يثير الدهشة عن قواعد المقطع وكيفية بنائه ، وتقسيمه ، وطرق قياسه وغير ذلك، كما تحدثوا عن قواعد النبر . [١٦]

بصفة عامة لم تكن دراسة الهنود للأصوات مجرد ظنون ؛ وإنّما كانت ملاحظات صائبة راسخة، وكانت أشبه بالأبحاث التجريبية التي تعتمد على الملاحظة الدقيقة وإجراء التجارب ، لذلك ظلت قيمتها حتى الآن؛ رغم تطور وسائل البحث الحديث واستخدام الأجهزة الدقيقة في التسجيل والتحليل. فقد كانت الدراسات الهندية هي الأساس الذي بني عليه علماء الأصوات المحدثون أعمالهم ؛ وذلك لأنّ الهنود قد تركوا قواعد راسخة ودراسات وصفية صوتية مستفيضة ، فضلاً عن أنّ الدرس الصوتي عند الهنود يقدّم حلولاً لبعض المشاكل اللُّغوية الحديثة .[١٧]

من الشعوب التي اهتمت أيضًا بالأصوات قديمًا اليونان، فمن خلال اللُّغة اليونانية القديمة كانت نشأة علم اللُّغة النظري في أوربا، فقد كان لليونانيين عبقريتهم الفكرية المميزة ، يقول بلو مفيد: " كان لدى اليونان القدماء موهبة الاندهاش إزاء الأشياء التي أخذها الآخرون مأخذ التسليم". فقد كان اليونانيون في العصر الكلاسيكي بالفعل على وعيٍ بوجود شعوب تتحدث لغات أخرى غير الإغريقية، وقد استنبط اليونان ومنذ الألف الأول قبل الميلاد نظامًا أبجديًا للكتابة اليونانية، كان بمنزلة الأساس لأبجديتهم الحديثة ، وقد كانت أبجديتهم أبجدية فونيمية؛ مما ولّد الحاجة إلى الكتابة الفونيمية، وإن كانت تحليلاتهم الفونيمية ناقصة .[١٨] تمثل الوعي الصوتي عند اليونان في وضعهم رموزًا للأصوات الصائتة التي لم تهتم الكتابة السامية بوضع رموز لها، كما أنّهم وضعوا رموزاً لأصوات في لغتهم لا تشتمل عليها اللّغة السامية . يضاف إلى معارف اليونان الصوتية أيضاً أنّهم قسّموا الأصوات اللُّغوية إلى أصوات صائتة وأصوات صامتة، فكان هذا أساساً للتحليل اللُّغوي عند الأوربيين فيما بعد، كما أنّهم تنبهوا إلى أنّ الصامت لا يمكن أن ينطق إلا مع مصوّت، وسموا ما يتكون من صامت ومصوّت " syllable " التي تعني المقطع . وعلم الأصوات والفنولوجيا عند اليونان قُدّما على أساس الوحدة المركبة من الكتابة والنطق ، وقد تمت بعض محاولات التطبيق النطقي وعرض المقطع باعتباره وحدة بنائية من وحدات الفونولوجي ؛ ثم بعد ذلك إدراك صورة أولية للكلام بوصفه الأثر الناتج عن التدخل النطقي،عن طريق الهواء الخارج من الرئتين . وقد كان الإطار الوصفي للصوتيات اليونانية هو الأبجدية اليونانية ، فقد أخذ أسلوب العرض شكل وصف نطق الحروف في هذه الأبجدية. ومعظم معارف اليونان الصوتية نجدها متناثرة في محاورات أفلاطون وشعر وخطابة أرسطو وفي كتب نحاتهم .[١٩] وقد أقام أفلاطون عددًا من التمييزات بين أنواع الفونيمات الجزئية في اللُّغة اليونانية، واضعًا الصوائت في مجموعة تقابل الصوامت، مميزًا في الصوامت بين الاستمرار والوقف ، وأنّها غير قابلة للنطق من غير صائت مجاور . وقد خطى علم الصوتيات خطوات أخرى للإمام على أيدي الرواقيين الذين عرفوا دراسة أصوات الكلام، بوصفها جانباً متميزًا من جوانب اللُّغة، وقد درس الرواقيون البنية المقطعية في اللّغة اليونانية، وميزوا بين ثلاثة أنواع من التتابعات الصوتية ، وهي التتابعات التي تقع بالفعل في الكلام بوصفها أجزاء دالة ، والتتابعات التي لا يمكن أن تقع وفقًا لقواعد تركيب المقطع، والتتابعات المستبعدة بوصفها غير ممكنة فنولوجيًا في اللُّغة .[٢٠]

أما في العصور الوسطى المحددة بالفترة الممتدة من انهيار الإمبراطورية الرومانية إلى بداية عصر النهضة الأوربية، أي في تلك الفترة التي اتسعت فيها رقعة المسيحية وانتشرت فيها اللُّغة اللاتينية على حساب اللُّغة الإغريقية؛ وشاركت الشعوب المختلفة التي اعتنقت المسيحية في عملية التعليم والتأليف ،إلا أنّ الدراسات اللُّغوية لم تكن ذات بال؛ لأنّ النحاة النمطيين لم يولوها أية عناية ، وقد ساعدت اللّهجات المنبثقة عن اللُّغة اللاتينية على عدم الاكتراث بالأمور الدقيقة في صوتيات اللُّغة الأم .[٢١] بوصفٍ عام إنّ النظريات اللُّغوية التي أتى بها علماء الإغريق ظلت كما هي في العهد الروماني وفي القرون الوسطى، وحتى عصر

النهضة ، باستثناء بعض الإضافات الطفيفة ، وقد استمر الحال على هذا حتى مطلع القرن التاسع عشر؛ حيث بدأت الدراسات التاريخية والمقارنة. وفي تاريخ علم الصوتيات نجد مؤلفات علماء اليونان والرومان ليست ذات أهمية؛ إذ أنّهم عبروا عن تصنيفاتهم بمصطلحات انطباعية، ولم يكن لديهم مصطلح فني مناسب كما فعل الهنود القدماء وعلماء العرب بنجاح .[٢٢]

يبيّن استقراء التراث العربي أنّ العرب خطوا خطوات مقدّرة في مجال الدرس الصوتي، وقد كان هذا الأمر حصيلة جهود القُرّاء، والنحاة، والمعجميين، والأطباء، والحكماء ،وعلماء البلاغة والبيان، كل منهم أضاف إلى الجانب الذي اختص به. ويرجع للقّرّاء والمعجميين فضل تأسيس هذا النوع من الدراسات ؛ بل هم الذين وصلوا بالدرس الصوتي إلى قمته في القرن الثاني الهجري. لم تختصر الدراسات الصوتية للعرب على زاوية واحدة من زوايا الدرس الصوتي؛ بل شملت العديد من الجوانب، ففي المستوى الفوناتيكي اهتم العرب بمعرفة تشريح الجهاز النطقي ومخارج الأصوات وصفاتها ، وفي المستوى الفونولوجي اهتم العرب بالصوت المنظم في التركيب اللُّغوي؛ بحيث يكون في خدمة المعنى، وقد عبّروا عن ما يعرف اليوم بالفونيم بمسمى" الحروف الأصلية"، كما درس العرب القدماء التأليف الصوتي في العربية والقوانين التي تسيطر عليه، فما خضع لهذه القوانين وُصف بأنّه فصيح ، وما خرج عنها كان غير فصيح . وقد شرح علماء العرب آلية إنتاج الصوت وطبيعته الفيزيائية. واهتموا بظواهر التفاعل الصوتي ، كما أنّهم لم يهملوا القيمة الدلالية للصوت؛ لأنّ الدلالة في نهاية الأمر هي غاية الدرس اللُّغوي بكل فروعه.[٢٣]

تجدر الإشارة إلى أنّ اللغويين العرب في غالب الأحوال، لم يعالجوا الأصوات علاجًا مستقلًّا، وإنما تناولوها مختلطة بغيرها من البحوث ، فالنحاة خصصوا بعض الأبواب في كتبهم النحوية لهذه الدراسة. و لم يقصدوها لذاتها ؛ بل لغيرها حيث اتخذوها تمهيدًا أو مدخلًا لدراسة ظاهرة الإدغام، والحديث عن قواعد الإعلال والإبدال. فقد عالج سيبويه "الإدغام" في نهاية مؤلفه "الكتاب"، وعالج الأصوات قبل معالجة الإدغام. وعالج المبرد في الجزء الأول من كتابه "المقتضب" الإدغام وقدّم له بدراسة للأصوات ومخارجها. كذلك أنهى الزجاجي كتابه "الجمل" بالحديث عن الإدغام ومهّد لحديثه عنّه ببعض الأفكار الصوتية. وأنهى الزمخشري كتابه "المفصل" بالإدغام وقدّم له بدراسة للأصوات. وتناول أصحاب المعاجم أيضًا بعض المشكلات الصوتية، إما في مقدمات معاجمهم أو في ثنايا المادة اللُّغوية المجموعة فيها، ويظهر الاهتمام بهذا النوع من الدراسة في المعاجم التي رُتبت ترتيبًا صوتيًّا، والمعاجم التي اتبعت نظام التقليبات. وقد ساهم علماء التجويد والقراءات القرآنية بقدر لا يُنكر في هذا المجال، فقد فصّلوا في مخارج الحروف وطريقة نطقها وصفاتها، كما فعل ابن الجزري في كتابه "النشر" الذي خصص سبع صفحات فيه لهذا الأمر وحده. كذلك ترددت في كتب التجويد مصطلحات صوتية مثل الإشمام، والإشباع، والاختلاس، والمد، والتفخيم، والترقيق، وغيرها. كذلك أدلى المؤلفون في إعجاز القرآن وعلوم البلاغة بدلوهم وجاءوا بمعلومات صوتية قيّمة، ومعظم ما شغلهم من مباحث الأصوات يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها، وقد ضمّن أبو بكر الباقلاني كتابه المشهور "إعجاز القرآن " كثيرًا من المباحث الصوتية، بقصد تحليل آيات القرآن، وبيان أوجه الإعجاز فيها. كما كان لأصحاب المؤلفات الأدبية دورهم في هذا المجال وعلى رأسهم الجاحظ في كتابه " البيان والتبيين". الذي عرض فيه عيوب النطق، سواءً أكانت ناتجة عن سرعة، أو سبب عضوي، أو لثغة، أو لكنة أجنبية. كذلك تناول الجاحظ نسج الكلمة العربية وعدم ائتلاف بعض الحروف مع بعضها. ومنهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية يعد أحدث منهج متبع الآن، وهو أخْذ عينة من المادة اللُّغوية المدروسة ثم استخلاص النتائج منها والانتهاء بتعميم الحكم.[٢٤] وللجاحظ أيضًا إشارات صوتية شملت الجهاز الصوتي، ومن ذلك كلامه على مخارج بعض الحروف، وكذلك كلامه عن التلاؤم والتنافر، كقوله في اقتران الحروف " فإنّ الجيم لا تقارن الظاء ،ولا القاف، ولا الطاء ، ولا الغين بتقديمٍ ولا بتأخيرٍ ، والزاي لا تقارن الظاء، ولا السين، ولا الضاد، ولا الذال، بتقديمٍ ولا بتأخيرٍ وهذا باب كبير . "[٢٥]

حظيت الأصوات اللُّغوية باهتمام ملحوظ ونظر عميق من الرواد اللُّغويين في القديم، ولعل أول فكر صوتي وصل إلينا هو محاولة أبي الأسود الدؤلي الذي وضع رموز

لقسم من الأصوات اللُّغوية التي أهملت الكتابة السامية الرمز لها؛ وهي الرموز الدالة على الحركات من أجل تفادي الخطأ في قراءة القرآن الكريم، بعد فساد السليقة وشيوع اللحن؛ لكن أشهر محاولة تدل على الوعي الصوتي هي ما قام به الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي حدّد أهم أسس الفكر الصوتي ومبادئه ، فقد عرّف الخليل الجهاز الصوتي عند الإنسان، وحدّد بطريقة عملية مخارج أصوات العربية في هذا الجهاز، كما توصل بالملاحظة الذاتية إلى صفات تلك الأصوات، وأشار إلى ما يعرض لها في مدارج الكلام من ظواهر كالإدغام . وباختصار قلّ أنّ نجد قضية صوتية في العربية لم يشر إليها الخليل. وقد واصل تلاميذ الخليل الجهود من بعده وعلى رأسهم تلميذه النابه " سيبويه " الذي حفظ معارف أستاذه وأضاف إليها وعمّقها ، وقد تضمن " كتاب " سيبويه وصفاً تفصيلياً لأصوات العربية، وصفات تلك الأصوات، بجانب دراسة واسعة لظاهرة الإدغام ، وملاحظات تتعلق بالحركات بكمها الزمني. وقد كانت كتابات الخليل وسيبويه هي الأصل والمرجع لكل من جاء بعدهما من علماء النحو واللُّغة والتجويد [٢٦].

في إطار تتبع التفكير الصوتي عند علماء العرب القدامى، لابد من الوقوف عند جهود الفيلسوف " ابن جني " والتي تميّزت في هذا المجال، إذ أنّه أضاف وعمّق وشرح وفصّل، إلى أن تكاملت أعماله وأصبحت دراسة علمية لها كيان له أسسه وجوانبه. وهذه الجهود تضمنها كتابه " سر صناعة الإعراب " ، الذي حدّد في مقدمته جملة من الأسس والمبادئ التي ينبني عليها الدرس الصوتي، وأركانه وجوانبه، حتى يصبح علمًا من علوم العربية سماه بعبقريته "علم الأصوات والنغم". فقد درس ابن جني أصوات العربية بمنهج التذوق والتجريب، وقام بتصنيفها حسب خواصها وسماتها ، مشيرًا في كل ذلك إلى جهاز النطق وكيفية تفعيله عند إصدار هذه الأصوات، مقارنًا هذه الكيفيات بضربة يد الصنّاع على الآلات الموسيقية .[٢٧] يقول ابن جني: " رسمت اطال ـ الله بقاءك ـ أن أضع كتابًا يشتمل على جميع أحكام حروف المعجم، وأحوال كل حرف منها، وأن اتقصى القول في ذلك، وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها، ومدارجها، وأصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها ، وشديدها ورخوها ، وصحيحها ومعتلها ، ومطبقها ومنفتحها ، وساكنها ومتحركها ،ومشربها ومشوبها ، ومستعليها ومنخفضها إلى غير ذلك، وليس غرضنا في هذا الكتاب ذكر الحروف مؤتلفة؛ وإنما الغرض فيه ذكر أحوالها منفردة منتزعة من أبنية الكلام التي هي مصوغة فيه، لما يخصها من القول في أنفسها . "[٢٨] يّشار إلى أنّه وبعد جهود ابن جني فترت همم اللُّغويين فاكتفى معظمهم بالنقل المباشر عن غيره من السالفين، أو بتكرار ما قرروه.[٢٩]

سار علماء العربية الذين جاءوا بعد ابن جني على ضوء الدراسات السابقة ، ولم يحاولوا إكمالها ولم ينتفعوا بقيمتها الصوتية ، ويستغلوها في دراساتهم التطبيقية على اللُّغة ، ولا يستثنى من ذلك إلا رجال القراءات الذين اجتهدوا في تجميع ما تناثر من أفكار سابقيهم من أهل الصناعة، بالإضافة إليها والتوسيع في جوانبها، حتى استقام لهم بناء متكامل في الدرس الصوتي الموّجه في الأساس لخدمة القرآن الكريم، ببيان كيفية تلاوته وأدائه على الوجه الصحيح نطقاً. وقد أثمر عن تلك الجهود ذلك العلم الشهير المعروف بعلم التجويد، الذي لم تقتصر فوائده على القرآن الكريم فحسب؛ بل أفادت كل المشتغلين بعلوم العربية حتى الآن. واستمر الحال كذلك حتى تم الفتح الكبير في مجال الدراسات الصوتية العربية على يد "ابن سينا " الفيلسوف المشهور الذي هدته دراسته ومعارفه الطبية إلى سلوك طريق مغاير في هذا المجال ، فقدّم بحثاً عن مخارج أصوات اللُّغة على أساس تشريحي عملي، وانتهج منهجاً اتبعه فيه الكثير من علماء الغرب، الذين وصفوا ابن سينا بأنّه الرائد الحقيقي في هذا المجال.[٣٠] فقد قدّم ابن سينا بحثًا قيّمًا في مجال الدراسة الصوتية وهو رسالته التي أسماها : " أسباب حدوث الحروف " والتي طبعت بالقاهرة ، وطهران، وبيروت وغيرها، وقد عالج ابن سينا فيها الأصوات علاجًا فريدًا لا يشركه فيه أحد من العلماء القدماء؛ لذا أصبحت محط اهتمام العلماء في القرن العشرين. وقد جاء حديث ابن سينا حديث العالم بأسرار الطبيعة حين أشار إلى كنه الصوت، وحديث الطبيب المشرّح حين وصف أجزاء الحنجرة واللسان، كما أنّه أتى بمصطلحات لم يسبقه إليها أحد من علماء العربية ؛ لأنّ سيبويه وصف فقط أصوات اللُّغة من حيث مخارجها، وصفاتها، وكيفية صدروها ، فبقي كلامه عماداً للذين أتوا من بعده من العلماء .[٣١] تحدث ابن سينا في رسالته تلك

عن سبب حدوث الصوت ومخارج الأصوات ومحابسها، كما أفرد فيها فصلاً لتشريح الحنجرة واللسان، وتناول الحروف العربية وبيّن كيفية صدور كل حرف منها، مع وصف العملية العضوية مع كل حرف وصفاً مفصلاً، وختم رسالته بحروف أخرى سمعها في لغات أخري، غير اللُّغة العربية.[٣٢]

بشكلٍ عام كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية، شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم؛ بل حتى بالنسبة للعصر الحديث، برغم ما فيه من إمكانات هائلة لم تتح للقدماء، من آلات وأجهزة للتصوير والتسجيل، وتحليل الأصوات وغيرها. ويكفي العرب فخرًا في مجال الأصوات أن يشهد لهم علماء كبار من علماء الغرب أمثال " برجشتراسر " الألماني الذي يقول: " لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق وهما أهل الهند والعرب"، وفيرث الإنجليزي الذي يقول: " إن علم الأصوات قد نما وشبَّ في خدمة لغتين مقدستين، هما السنسكريتية والعربية ".[٣٣]

المحور الثالث: جهود المحدثين في مجال الدراسات الصوتية :

الدراسات الصوتية رغم من اهتمام القدماء بها، لم تلق العناية اللائقة بها في العصور المتتالية بعد ذلك، ولم تحظ بما حظيت به البحوث اللُّغوية الأخرى من الدراسة المستفيضة ؛فهذا النوع من الدراسة لم يدخل في عداد البحوث اللُّغوية الدقيقة إلا في أواخر القرن التاسع عشر، بعد أن اتضحت معالم الدراسات اللُّغوية بوجهٍ عام وقسمت إلى فروعٍ مختلفة، من بينها فرع يدرس أصوات اللُّغة. وربما كان سبب ذلك انعدام وسائل الدراسة الدقيقة لدى العلماء آنذاك ، فالدارسون في تلك العصور لم تكن لهم وسيلة من وسائل البحث الصوتي، سوى الاعتماد على الملاحظة الذاتية، شأنهم في ذلك شأن سلفهم من القدماء .[٣٤]

لقد بدأ البحث اللّغوي الجاد في أوربا في منتصف القرن السابع عشر الميلادي على يد علماء إنجليز ، أمثال "والس" و" هولدر " ، وتعد جهودهما أهم الجهود في هذا المجال، فقد تحدث الأول عن نطق الأصوات بدقة وقارن بين أصوات الإنجليزية وما يناظرها في العبرية واليونانية، ووصف الثاني أعضاء النطق وميّز بين الأصوات المجهورة والمهموسة ، وكذلك وصف الهمزة وصفاً علمياً، كما ألف جونز كتاباً في الأجرومية الإنجليزية، تناول فيه أصوات اللُّغة من الناحية الفسيولوجية والتشريحية، واستطاع تحديد الأصوات الصامتة والصائتة، وقد كانت هذه الدراسات فاتحة لدراسات أخرى كثيرة في هذا المجال.[٣٥]

في القرن الثامن عشر تقدمت الدراسات الصوتية على يد بعض العلماء أمثال " هلفاج " الذي ينسب إليه رسم أول مثلث للحركات الأساسية في اللُّغة الالمانية، و" جون كمبان " الذي ألف كتابه " عملية التكلم الإنساني " الذي احتوى على معلومات صوتية دقيقة عن الأصوات المركبة التي تأتي في أواخر الكلمات، أو في أوائلها في كل اللُّغات الأوربية. وفي القرن التاسع عشر اتجهت البحوث نحو المناهج التاريخية والمقارنة؛ التي كان لها الأثر العظيم في تقدم الدراسات المقارنة بين عدة لغات، تتشابه في الكثير من الخصائص ، مثل لغات الفصيلة الهندو أوربية أو الفصيلة السامية .[٣٦]

تقدمت الدراسة الصوتية في العصر الحديث مع بداية القرن التاسع عشر، نظراً للتقدم العلمي الكبير الذي شمل كل جوانب الحياة ؛ إذ ازدهرت تبعاً لذلك الدراسات والبحوث التي تهتم بالدرس الصوتي، كظاهرة فيزيائية وفسيولوجية يمكن إخضاعها للتجربة العملية ، وقد شهد هذا القرن ميلاد علم الأصوات التجريبي؛ حيث أنشأ أول معمل صوتي في جامعة باريس عام سبع وتسعين وثمانمائة وألف للميلاد ، فتهيأت للدارسين الظروف وتوافرت لهم أنماطاً دقيقة من وسائل البحث اللُّغوي، وأصبحت الدراسة تخضع للتجارب المعملية والتطبيقية المختلفة ، فتفوقت بذلك على غيرها من الدراسات اللُّغوية الأخرى.[٣٧] شهد هذا العصر أيضاً دخول المنهج الفيزيائي إلى جانب المنهج الفسيولوجي في معالجة الصوت الإنساني ،على يد العالم الفيزيائي الفسيولوجي " هيلم هرتز" بكتابه: " علم إدراكات الصوت " الذي أحدث تحولاً كبيراً في هذا المجال .[٣٨]

اتصلت الدراسة الصوتية في القرن العشرين بغيرها من الدراسات والعلوم الأخرى، كالطب والهندسة وغيرها، فأفادت منها وأفادتها واستعانت بها في كشف الكثير من الأمور التي كانت مجهولة في المجال الصوتي، وتحديد بعض المفاهيم التي لم تكن واضحة من قبل ، فتشعبت الدراسة الصوتية وتعددت فروعها، حتى أصبح كل فرع منها جديراً بدراسة مستقلة .[٣٩]

في هذا القرن زاد اهتمام الغربيين وغيرهم بالدراسات الصوتية فتشعبت فروعها وتنوعت مناهجها. ومن أهم التطورات التي يجب أن يشار إليه في هذا القرن تمييز العلماء بين دراسة الأصوات في حد ذاتها، باعتبارها أصواتًا منطوقة فيما يعرف بالدراسة " الفوناتيكية "، وبين دراسة الأصوات باعتبارها اللبنات التي يتشكل منها الكلام في لغة ما فيما يعرف بالدراسة الفونولوجية .[٤٠]وتوالت تطورات هذا العلم حتى ظهر علم الصوتيات التوليدي الذي يُعنى بالبناء التركيبي للغة على يد اللُّغويين الأمريكيين، وفي مقدمتهم " تشومسكي" و"هالي". وقد ساعدت أجهزة الاتصال والمعلومات في إحداث تطورٍ عظيم في مجال الدراسات الصوتية ، فأصبحت موضع عناية الدول المتقدمة ، فأنشئت لها المعامل في الجامعات والأقسام المختلفة، واستخدمت فيها الأجهزة الإلكترونية الدقيقة؛ فتطلعت إليه مختلف فنون القول مثل الإلقاء وتركيب الكلام وتعليم اللّغات الأجنبية وغيره ، وأصبحت الدراسة الصوتية بذلك قاسماٍ مشتركاً بين العلوم الطبيعية والإنسانية .

قنع علماء العربية في العصر الحديث لفترة من الزمن بالقدر الذي طرحه عليهم علماء التجويد في مجال الصوتيات، ولم يلتفتوا إلى أنّ الفكر الصوتي كغيره من الأفكار العلمية يحتاج إلى تجديد، وأنّه لا يخدم القرآن وحده بل يخدم كل أساليب الكلام ، فلم ينتبهوا إلى أهمية هذه الدراسة وضرورة إدخالها ضمن مناهج التعليم؛ حتى يتسنى للمتعلم أن يجيد النطق الذي هو أساس كل تعلم لغوي. وقد تجاهلت الجامعات هذا النوع من الدراسة حتى أدخلت دراسة الأصوات كمادة أساسية في مناهج التعليم في كلية دار العلوم في الخمسينات من القرن الماضي، فكان لدار العلوم الفضل في تعريف الناس بهذا العلم في صورته الحديثة، في مصر وفي كل البلاد العربية. وفي الخمسينات من القرن العشرين عاد إلى مصر بعض المبعوثين واشتغلوا بتدريس علم اللُّغة في دار العلوم ، فظهرت جهود بعض المجتهدين أمثال "حفني ناصف" الذي تناول أصوات العربية بنظرٍ جديد، منطلقاً من أسس ومبادئ علم التجويد، إلى دراسة أصوات العربية فصيحها وعامياتها، مطبقاً بعض الأفكار التي توضح تطور هذه الأصوات واختلافها في الأداء من بيئة إلى أخرى. وتوالت جهود الباحثين أمثال" بخاطرة الشافعي " الذي تكللت مساعيه في هذا الصدد بقيام أول معمل صوتي بمصر والوطن العربي، في كلية الآداب جامعة الإسكندرية، في عام خمس وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد. وفي هذا المقام يجب ذكر جهود الدكتور إبراهيم أنيس الذي وضع أول كتاب حديث في علم الأصوات باللُّغة العربية. يُضاف إلى ذلك جهود بعض الأساتذة الذين ترجموا، إلى العربية العديد من الجهود الغربية المهمة في مجال الدراسات الصوتية ، مثل الدكتور محمد القصاص الذي ترجم كتاب اللُّغة لجوزيف فندريس، ومثل كتابات الأستاذ عبد الرحمن صالح عن تاريخ الدراسات الصوتية واللُّغوية في مجلة " اللسانيات " الصادرة عن معهد الدراسات اللُّغوية والصوتية بجامعة الجزائر. وهكذا توالت الجهود والدراسات التي يضيق المقام عن ذكرها .[٤١]

فطنت الكثير من الأمم في العصر الحديث لضرورة العناية بلغتها وإلى تعليم لغاتها للراغبين في تعلمها من الأجانب، كي يضمنوا سلامة نطقها والمحافظة على خواصها الصوتية . ومن هذا المنطلق أصبح الاهتمام بتعليم اللُّغة العربية أمراً ضرورياً؛ إذ لم تعد هذه اللُّغة لغة محلية محصورة في رقعة جغرافية محدودة ؛ بل أنّها تجاوزت ذلك وانتشرت بين العديد من الشعوب الآسيوية والأفريقية، وفي أوربا والأمريكيتين، هذا بالإضافة إلى كثرة الوافدين في الآونة الأخيرة للدراسة في الجامعات العربية .[٤٢] لكن وبالرغم مما ذكر يمكن القول بأنّ هذا اللون من الدراسة لم يجد العناية الكافية في عالمنا العرب، على الرغم من أهميته وفوائده، إذ أن الكثير من الباحثين يتجه إلى المجالات الأخرى من مجالات الدراسات اللُّغوية ، في حين أنّ اللُّغة العربية في أشد الحاجة إلى مثل هذه الدراسة. نجد الكثير من دور العلم لم تقّدر قيمة الدراسة الصوتية وأهميتها، وأنّ الكثير من طلابها يتخرجون ليدرّسوا اللُّغة العربية، دون أن يسمعوا عن الدراسات الصوتية ،أو يعرفوا شيئاً عن أصوات لغتهم ونظام نطقها .[٤٣]

مما تقدم سرده اتضح لنا، وبكل وضوح مدى أهمية الدراسات الصوتية، ومدي حيويتها لكل لغة، الأمر الذي استرعى انتباه العلماء القدامى قبل المحدثين، الذين أدركوا بدورهم أن اللّغة لا يستقيم عودها ولا تتكشف معالمها، من غير الدراسة الدقيقة لأصواتها؛ لذلك نشطت جهودهم في هذا

المجال، مستفيدين من الأجهزة ووسائل البحث الحديثة، في سبر غور اللُّغات المختلفة على مستوى العالم. وفي هذا الصدد نتمنى أن تتحرر أيادي الباحثين العرب من أغلالها ، وأن تستفيد من التراث الصوتي القيّم الذي أبدع فيه العباقرة من علماء أمتنا القدامى؛ حتى يجتمع الجمال مع الجمال، وتكتمل صورة هذه اللّغة التي شرّفها القرآن بنزوله بها، ويعرف العالم مكانة هذه اللُّغة وتميّزها في جميع الجوانب التي تُقرأ منها اللُّغات وتتمايز؛ ذلك فضلًا عن أنّ الدراسة الصوتية وبلا شك تساعد وبقدرٍ كبير في علاج الكثير من المظاهر السالبة، التي ابتليت بها لغتنا العربية من أبنائها قبل غيرهم .

الخاتمة :

تشمل النتائج والتوصيات الآتية :

أولاً – النتائج :

١ـ دراسة القدماء من مختلف الأمم للأصوات لها قيمة عظيمة، فهي تدل على بعد نظرهم وتوصلهم منذ زمنٍ بعيد إلى أهمية الأصوات ودورها في تقنين وسلامة الأداء اللُّغوي.

٢ـ الجهود الصوتية القديمة أفادت الدرس الصوتي الحديث في إرساء الكثير من الأسس والمفاهيم الصوتية، بجانب تدوينها لواقع اللُّغات المنطوقة قديماً؛ مما ساعد على ربط الحديث بالقديم في هذا المجال .

٣ـ الهنود هم أسبق الأمم في مجال الدراسات اللُّغوية، فقد أُثرت عنهم دراسات في فروع علم اللُّغة المختلفة ، تتناول الأصوات، والاشتقاق، والنحو، والمعاجم .

٤ـ دراسات الهنود الصوتية القديمة أفادت التفكير الصوتي الحديث كثيراً؛ لأنّ مناهجها قامت على أسس علمية سليمة.

٥ـ قسم اليونان الأصوات اللُّغوية إلى أصوات صائتة وأصوات صامتة، فكان هذا أساساً للتحليل اللُّغوي الحديث عند الأوربيين .

٦ ـ الجهود الصوتية العربية القديمة اشترك فيه القُرّاء، والنحاة، والمعجميون، والأطباء، والحكماء، وعلماء البلاغة والبيان ؛ مما يدل على أهمية الدراسة الصوتية وارتباطها بالعديد من العلوم والمجالات الأخرى.

٧ـ جهود القدماء من علماء العربية أمثال الخليل، وابن جني، وابن سينا في مجال الأصوات اللُّغوية، جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم ؛ فهي لا تقل قيمةً عن جهود المحدثين التي استعانت بالأجهزة ووسائل التجريب الحديثة .

٨ ـ لم تدخل الدراسة الصوتية في عداد البحوث اللُّغوية الدقيقة، إلا في أواخر القرن التاسع عشر بعد أن اتضحت معالم الدراسات اللُّغوية بوجهٍ عام .

٩ـ في القرن العشرين زاد اهتمام الغربيين وغيرهم بالدراسات الصوتية، فتشعبت فروعها وتنوعت مناهجها، واستفاد الصوتيون من العلوم الأخرى مثل الطب، والهندسة، والفيزياء..

١٠ـ ساعدت أجهزة الاتصال والمعلومات على إحداث تطورٍ عظيم في مجال الدراسة الصوتية ، فأصبحت موضع عناية الدول المتقدمة، وأنشئت لها المعامل في الجامعات والأقسام المختلفة.

١١ـ قنع المعاصرون من علماء العربية بالجهود الصوتية للقدامى حتى خمسينات القرن الماضي ؛حيث تجددت روح البحث في هذا المجال على يد المبعوثين العائدين من الدول الأوربية .

١٢ـ الدراسة الصوتية لم تجد حتى الآن العناية الكافية في عالمنا العربي المعاصر؛ إذ ماتزال الجهود خجولة في هذا المجال؛ بالرغم من تعاظم حاجة لغتنا، لغة الإسلام المتمدد في طول العالم وعرضه لهذا العلم .

ثانيًا – التوصيات :

توصي الدراسة بالآتي :

١ـ ضرورة الاهتمام بالدراسة الصوتية وإدخالها في مناهج التعليم في المراحل الأولية في بلادنا العربية .

٢ـ تبنّي مؤسسات التعليم العالي النهوض بهذا النوع من الدراسة، وتحفيز الدارسين للخوض في مجالاته المختلفة .

٣ ـ عدم الاكتفاء بالدراسة النظرية في هذا المجال ، فلابد من الاهتمام بالدراسة المعملية والتجريبية، والاهتمام بإنشاء المعامل الصوتية المكتملة والفاعلة في الجامعات العربية .

٤ـ ضرورة استقراء التراث العربي القديم في هذا المجال، بعمق وتروي للاستفادة منه في معالجة المشاكل الكثيرة التي تعاني منها لغتنا العربية اليوم، في جانب النطق وغيره.

الحواشي:

[١] . فاتن خليل محجازي ، محاضرات في علم الأصوات، الرياض : دار النشر الدولي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص١١

[٢] . عبد العزيز أحمد علّام وعبدالله ربيع محمود ،علم الصوتيات

، الرياض : مكتبة الرشد، ط٢،١٤٣٠ هـ ، ص ١٧ ـ ١٨ .

[٣] ـ المرجع نفسه ، ص ٢٣.

[٤] . كمال محمد بشر ، علم اللُّغة العام ، القاهرة : دار غريب ،٢٠٠٠م ، ص ٨

[٥] . أحمد مختار عمر ، البحث اللُّغوي عند العرب ، القاهرة : عالم الكتب ، ط٨، ٢٠٠٣م ، ص٩٣

[٦] . محمود السعران ، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي ، القاهرة : دار الفكر العربي ، ط٢ ، ١٩٩٧م ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧

[٧] ـ علام وربيع ، علم الصوتيات ، ص٥٥ ـ ٥٦

[٨] ـ سورة المزمل : الآية ٤

[٩] . غانم قدوري الحمد ، أهمية علم الأصوات اللُّغوية في علم التجويد ، الرياض : مركز تفسير الدراسات القرآنية ، ط٢ ، ٢٠١٥م ، ص٤٧، ٤٩

[١٠]. فاتن محجازي ، محاضرات في علم الأصوات، ص ١٥ . ١٦

[١١] ـ علاّم وربيع ، علم الصوتيات ، ص ٦٠

[١٢] . أحمد مختار عمر ، البحث اللُّغوي عند الهنود وأثره على اللُّغويين العرب ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٢م ، ص ٣

[١٣] . علاّم وربيع ، علم الصوتيات ، ص ٧١ ـ٧٢

[١٤] . أحمد مؤمن ، اللسانيات النشأة والتطور ، الجزائر : ديوان المطبوعات الجامعية ، ط٢، ٢٠٠٥م ، ص ٥٥، ٦٣

[١٥] ـ ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب ، ترجمة د. أحمد عوض ، الكويت : عالم المعرفة ، ط١٩٧٨م ، ص٤٩

[١٦] . أحمد مختار ، البحث اللُّغوي عند الهنود ، ص ٤٧ ـ ٥٦

[١٧] . المرجع نفسه ، ص ٥٨ ـ ٥٩

[١٨] . ر . هـ . روبنز، موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب، ٢٨، ٣٣

[١٩] ـ علاّم وربيع ، المرجع السابق ، ص٧٣

[٢٠] ـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللُّغة ، ص٤٨ ـ ٤٩

[٢١] . ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللّغة ، ص٣٣

[٢٢] ـ المرجع نفسه ، ص٢٨، ٤٩

[٢٣] ـ فاتن محجازي ، محاضرات في علم الأصوات " مرجع سابق " ، ص١٥٣ ـ ١٥٤

[٢٤] ـ أحمد مختار ، البحث اللُّغوي ، ص ٩٣ . ٩٩

[٢٥] . عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان الجاحظ ، البيان والتبيين ، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ ،ج١، ص٧٧

[٢٦] . علاّم وربيع ، علم الصوتيات ، ص ٧٧ . ٧٨

[٢٧] . كمال بشر ، علم الأصوات ، ص٢٤

[٢٨] . عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص١٦ـ ١٨

[٢٩] ـ نفسه ، ص٢٥

[٣٠] . علاّم وربيع ، علم الصوتيات ، ص٨١

[٣١] . إبراهيم أنيس ، الأصوات اللُّغوية ، القاهرة : مطبعة الأنجلو ، ط٤ [د.ت] ،١١٥

[٣٢] . المرجع نفسه ، ص ١١٦ ـ ١٢١، وأحمد مختار عمر ، البحث اللُّغوي ، ص١٠٢

[٣٣] . علاّم وربيع ، علم الصوتيات ، ص٧٠

[٣٤] . كمال بشر ، الأصوات اللُّغوية ، ص ٥٧٦ ـ ٥٧٨

[٣٥] . عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، مقدمة في أصوات العربية وفن الأداء القرآني ،القاهرة ،ط٢، ١٤٣٩هـ

[٣٦] ـ نفسه ، ص ٢١ـ ٢٢

[٣٧] . كمال بشر ، علم الأصوات ، ص٥٨٧

[٣٨] . علام وربيع ، علم الصوتيات ، ص٨٤

[٣٩] . أحمد علي محمود ربيع ، المدخل إلى علم الأصوات العربية وعلم التجويد ، الرياض : مكتبة الرشد ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، ص١٨

٢. كمال بشر ،علم الأصوات ، ص٥٨٧

[٤١] ـ علاّم وربيع ، الصوتيات ، ص٨٩

[٤٢] . كمال بشر ،علم الأصوات ، ص٥٩٥

[٤٣]. علاّم وربيع ، الصوتيات ، ص٩٠ .

قائمة المصادر والمراجع :

١ـ إبراهيم أنيس ، الأصوات اللُّغوية ، القاهرة : مكتبة الأنجلو ، ط٤ ،[د.ت]

٢ـ أحمد علي محمود ربيع، المدخل إلى علم الأصوات العربية وفن التجويد، الرياض مكتبة الرشد ، ط١ ، ٢٠٠٦م.

٣ـ أحمد مختار عمر ،البحث اللُّغوي عند العرب ،القاهرة : عالم الكتب ، ٢٠٠٣م .

ـ البحث اللُّغوي عند الهنود ، وأثره على اللغويين العرب ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٧٢ .

٤ـ أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط٢ ، ٢٠٠٥م .

٥ـ ر. هز روبنز، موجز تاريخ علم اللُّغة في الغرب ، ترجمة د . أحمد عوض، الكويت : عالم المعرفة ، ١٩٧٨م.

٦ـ عبد العزيز احمد علاّم وعبد الله ربيع محمود ، الصوتيات ، الرياض : مكتبة الرشد، ١٤٣٠هـ .

٧ـ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، مقدمة في أصوات العربية وفن الأداء القرآني ، ط٢، ١٤٣٩هـ .

٨ـ عثمان بن جني ، سر صناعة الإعراب ، بيروت : دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م .

٩ـ عمر بن بحر بن محبوب الجاحظ ، البيان والتبيين ،، بيروت : دار ومكتبة الهلال ، ١٤٢٣هـ .
١٠ـ غانم قدوري الحمد ، أهمية علم الأصوات اللُّغوية في علم التجويد ، الرياض : مركز تفسير الدراسات القرآنية ، ط٢ ، ٢٠١٥م .
١١ـ فاتن خليل محجازي ، محاضرات في علم الأصوات ، الرياض : دار النشر الدولي ، ط١، ٢٠٠٨م .
١٢ـ كمال محمد بشر ، علم اللُّغة العام ، القاهرة : دار غريب ، ٢٠٠٠م .
١٣ـ محمود السعران ، علم اللُّغة مقدمة للقارئ العربي ، القاهرة : دار الفكر العربي، ط٢ ، ١٩٩٧م.